الحرمان
بين
النعمة والنقمة

تصميم وإعداد/

أبو الحسن حناوى

مقدمـة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه

أيها الأخوة والأخوات الأفاضل والفضليات

لا شك أن موضوع الحرمان ، هو موضوعٌ شائع بين أغلب الناس إن لم يكن كلهم ، وذلك لأن الحرمان أنواع شتى .. فمنه الحرمان العاطفي والحرمان الإجتماعي والحرمان الحسي والحرمان الوطني.

وكل نوع له صور كثيرة ومتعددة !

ومن هنا كانت الفكرة في بذل جهد المُقّل لعرض موضوع الحرمان من زوايا مختلفة بقدر الإمكان ، عله يرسل بصيصاً من شعاع الطمأنينة والرضا في قلوب مكلومة ، فيخفف عنها أنينها ، ويواسهيا في مصابها ، ويمسح عنها همومها وربما يكون عامل نجدة للآخرين فيساعدهم على الخروج من دائرة الحرمان المفرغة ، والمفزعة المقلقة ، والمجهدة ذهنياً وجسدياً معاً.

أيها الأحبة .. سأتناول الموضوع مستعينا بالله ثم بما كتبته الكاتبة / غزلان ياقوتي وبعض المصادر الأخرى ، لعله يشفي غليل أحدكم ، أويجيب عن المبهم والمشكل في هذا الموضوع !

وأسأل الله تعالى التوفيق والعون من فضله .. هو ولى ذلك والقادر عليه.

أخوكم في الله أبوالحسن حناوى

×× الحرمان بين النعمـة والنقمـة ××

دوما ما يرتبط مفهوم الحرمان بالمعنى السلبي و بما ينعكس على الشخص من اضطرابات نفسية وبالتالى معاناة قاسية.

ومما لا شك فيه أن هذا المفهوم هو لصيقاً في الذهن بالشعور:

- بالألم والمعاناة
- وبالاكتئاب والحزن
- وبالحيرة والإحباط
- وبالنقص والفراغ

مما قد ينتج عنه سلوك العدوانية حيال من يُعايشه الإنسان ، لا على المستوى الخارجي فحسب ، بل أيضا له تأثيره الخاص على الأسرة.

سبب حصول الإكتئاب

الحرمان يؤثر بشكل مباشر على نفسية الإنسان الذي يطمح أن يمتلك كل نعم الحياة في قبضته.

وبما أن الحياة مليئة بالمصاعب و بالضغوطات ، فإن الإنسان يحاول قدر المستطاع أن يسابق الزمن.

" لكن الزمن في حد ذاته لا يخضع لمشيئة ذاك الكائن (الإنسان) فيولد لديه الحزن و الإحباط."

فعندما يُحرم من شيءٍ تتحول مشاعره إلى مشاعر سلبية فيحسُد من لديه هذه النّعمة ، وربما يتمنى زوالها عنه ، ولربما تجده يكيدُ له ويُؤذيه ليُطفئ ناراً تجيش في صدره.

عقلية تحدث بفقد حاجة الإنسان

الحرمان .. بشتى أنواعه هو عبارة عن عقلية محددة تتحقق وقت عدم تلبية الإنسان حاجته أو انعدامها.

نظرية معاكسة لمعنى الحرمان

وبعيدا عن كل المصطلحات فلتكن هناك نظرية معاكسة لهذا المفهوم .. فنقول:

" الحرمان من بعض الأشياء في الحياة
هو نعمة من الله عزوجل "

ومن الصعب على الإنسان أن يُدرك هذا المفهوم مهما حاول أن يُقنعَ نفسَه بقوة الإيمان.

- فما حُرم الإنسان من شيء إلا لحكمة أراد الله سبحانه وتعالى أن يضع خلقه في منزلة عالية ورفيعة.

فحُبُّ اللهِ لعبادِه حُبّاً لا يَبلغُ المُنتَهى

لأن من اسمائه سبحانه وتعالى الودود وهو شدة الحب والتودد لعباده!

المنعُ من اللهِ يكونُ لهُ حكمة

الإنسان تتسع نظرته كلمَّا زاد تملكه للأشياء و يطمح إلى ما هو أفضل.

لكن يشاء الله أن يمنع عنه أشياءً :

- خوفاً عليه من الانزلاقات
- أولعدم قدرته على تحمّل تلك النعمة بأكملها

ولأن طعم الحياة لا تكتمل إلا باللجوء إلى الله والسعي وراء المتمنيات بالدعاء ، قد يُحرم الإنسان :

- من اقتناء المال والممتلكات.
- أو من أن يكون له ذرية.
- أو من التمتع بصحة جيدة وعافية.
- أو من الزواج
- أو من الأحبة (مثل فقدان الوالدين أو أحد الأبناء أو الزوجة أو أحد الأقارب أو الأصحاب والخلّان) وذلك إما بالموت أو الهُجْران أو الإفتراق أو الطلاق أو العقوق أو منع أحد الأبوين من رؤية الأبناء أو السجن أو الهجرة أو غير ذلك من امور الحياة.

وكلها نِعمٌ يرغب فيها الجميع ، لكن بدرجاتٍ متفاوتة من شخصٍ لآخر.

لكن إذا لم يمتلك الشخص واحدة منهن فليُطَمْئن قلبَه أن هذا الحرمان خيرٌ من عند الله و ليكن إيمانه قوياً ومثبتاً على دينه وراضٍ بما قسمه الله له.

تأثير الحرمان على الإنسان

صحيحٌ حينما يُحرم الإنسان فإنه يتألم ويحزن على الشيء المُراد نَيْله ولربّما

" قدْ يَنْتفضُ ضِدَّ إرادةِ اللهِ ويَسْخط وَاقِعَهُ "

- ويتحول حُزْنُه إلى حقدٍ بداخله
- ويتخذُ سلوكاً عدوانياً يؤذي مُحيطه.

المحرومُ أيضا يتكون لديه صراعاً داخلياً بين الإيمان و الرضا بالقدر وعقله المنجذب نحو كل ملذات الحياة.

وهنا .. يأتي الفكر الديني ليعطي الدفعة الإيجابية لهذا المفهوم.

ليس كل ما يتمنى القلبُ هو نعمة

ولو أعاد الإنسان ترتيب أفكاره قليلا ، فإنه سيقول بعيداً عن أي تحليل نفسي ، أن ليس كل شيء يتمناه قلبُه هو نعمة في حياته بل قد يكون عقوبةً عند امتلاكه !

- ✓ فكم من زوجة تحلم بإنجاب طفل وتمنحه حنانها.
- ✓ وكم من أم تمتلك ابناً عاقاً وغيرُ باراً بها.
- ✓ وكم من فتاة تحلم بالفتى فارس أحلامها لتنعم بحياة زوجية.
- ✓ وكم من شابة تمتلك نعمة الزواج زوجها سِكّير لئيم يُعنْفُها.
- ✓ وكم من طفل يتيم حُرم من حنان الأبوين.
- ✓ وكم من طفلٍ يُعاني من جُحودِ وظلم أبويه.
- ✓ وكم من شابٍ عاطلٍ يحلُم بعملٍ وبدخلٍ مادى.
- ✓ وكم من رجل هو حبيسُ عملِه ولا يتمتعُ بحياته.

المحروم لا يشعر بنِعَم الله الكثيرة

الحرمان نعمةُ من النعم التي يُساءُ الظنّ بها دائماً ، الكل يتألّم من ضررها لكن مع مرور الوقت وبالإيمان وبالصمود ..

"يكتشفُ المحرومُ أنَّه يعيشُ في نِعَمٍ أخرى ولا يكْترث"

ويدرك فيما بعد أن كثرة النعم قد تكون سببا له في تعذيب نفسه و مرارة عَيْشه ، وكان الحرمان في المقابل سبباً للسلامة والأمان وراحة البال.

** لقدْ أرادَ اللهُ أنْ يُرسلّ نِعـمَه بدرجاتٍ متفاوتة على عباده

تطاول بعض الناس بنعم الله

هناك بعض الأشخاص يملكون الكثيرمن النعم ويتباهون أمام المحرومين ويطغون وكأنهم أدركوا كل شيء.

يتمادون في التكبر ، ويزيدُ من سوء طباعهم ، لكن ما يجهلونه ، هو أن:

الله الذي منحهم نعمة ما من فضله قادرٌعلى أن سلبهموها في لحظة

ولا يعلمون أن السماء تنقلب أرضاً إذا نسوا شكره وذلك لقوله تعالى:
﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ، وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾.

إن الروح السامية هي التي تؤمنُ بما يُملِي عليها القدر، وهذا الرضا لا يظهرُ إلا بعد قطع أشواطٍ كثيرةٍ من النَّضْج ومن الألم والحَيْرَة في صعوبة امتلاك ما تتمناه ، ومن هنا ، يولد الابتلاء و يولد معه الصبر.

" إذا أنعم الله عليك بموهبة لست تراها في إخوانك،
فلا تفسدها بالإستطالة عليهم بينك وبين نفسك،
وبالتحدث عنها كثيرا بينك وبينهم،
فإن نصف الذكاء مع التواضع أحب إلى قلوب
الناس وأنفع للمجتمع من ذكاء كامل مع غرور "

د/ مصطفى السباعي

ضرورة مقاومة الشيطان والنفس

فليكن الإنسان قويا أمام الشعور بالحرمان و ليقاوم الشيطان والنفس الأمارة بالسوء .

فلا يتسبب إحساسه به في تهييج المشاعر السلبية من: غضب وحقد وقطع الأرحام ، بل يجتهد أن يُحول كل مشاعره إلى حبٍ وعطاءٍ وحمدٍ.

- وقد قصَّ علينا القرآن الكريم العديد من قصص الأنبياء ، التي توضح أن الابتلاء لا يأتي فقط لتكفير الذنوب كما يعتقد البعض ، وإنما يأتي أيضاً للرفعة وزيادة الدرجة.

عن أبي سعيد الخُدْرى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" ما يصيبُ المُسلم من نصبٍ ، ولا وَصبٍ ، ولا همٍّ ، ولا حزنٍ ولا أذىً ، ولا غمٍّ ، حتى الشوكة يُشاكها ، إلا كفّر الله بها خطاياه" متفق عليه .

الحِرمَانُ سُنَّةٌ منْ سُنَنِ اللهِ لعبَادِه

الإبتلاء بالأمراض

ابتلاء الأنبياء والصالحين خاصة ولعباده عامة سُنّة من سُنن الله تعالى!

- فكم من نبي وصالحٍ ابتلاه الله بالمرض مثل سيدنا أيوب عليه السلام فقد أصابه الضر في ماله وولده وجسده ، وظل صابراً لم يجزع ، يقال قرابة 18 سنة يعاني من المرض قال تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾. وكذلك سيدنا يعقوب عليه السلام فقد بصره قال تعالى: ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ .

الإبتلاء في الذرّية

- ومنهم من ابتلاه الله في أبنائه إما بالموت مثل أبناء سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، مات أبناؤه الذكور الثلاثة ـ القاسم وعبد الله وإبراهيم ـ فصبر واحتسب وهو نبيٌ مُرسل صلى الله عليه وسلم.
- ومنهم العاقّ كإبن سيدنا نوح عليه السلام ، فإبنه هلك بالطوفان مع الكافرين قال تعالى: ﴿ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾.

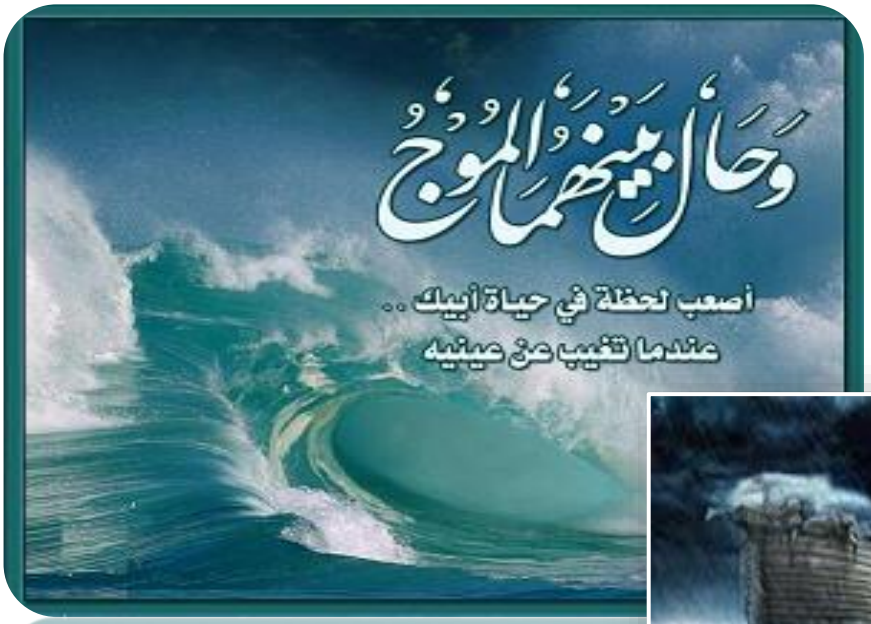

الإبتلاء في الزوجة

- ومنهم من ابتلاه الله في زوجته مثل زوجتا سيدنا نوح وسيدنا لوط عليهما السلام كانتا مع الكافرين قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ، كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾.

الإبتلاء في الشرف والعِفّة

- كان من الذين اتهموا في أعراضهم وعفّتهم ، زوراً وبُهتاناً ، سيدنا يوسف نبي الله الكريم ابن الكريم (سيدنا يعقوب) ابن الكريم (سيدنا اسحق) ابن الكريم (سيدنا إبراهيم) عليهم صلوات الله و سلامه أجمعين.

قال تعالى: ﴿ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

أيضاً السيدة مريم العذراء ، اتهمها قومها (لعنهم الله) بالفاحشة ، واتهموا زوراً وبُهتاناً كلٌ من سيدنا زكريا وقتلوه بعد ذلك ، ويوسف النَّجار.

قال تعالى: ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ۖ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ، يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾.

وكانت السيدة عائشة أمّ المؤمنين رضى الله عنها ، من الذين إبتلاهم الله بهذا الأمر أيضاً ، فأنزل الله براءتها من فوق سبع سماوات في قرآن يُتلى الى يوم الدين فقال تعالى: ﴿ لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ، لَّوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾.

وبالتالى .. كان ابتلاءً شديداً وقاسياً لسيد الأنبياء وخير البرية سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام في عرضه وشرف إحدى أزواجه.

وابتلاءً لسينا ابي بكر الصدّيق والدها رضى الله عنه وهو خير البرية بعد الأنبياء.

الإبتلاء بعدم الإنجاب

- وممن ابتلاهم الله بعدم الإنجاب (لفترة طويلة من الزمن) السيدة سارة زوجة أبي الأنبياء إبراهيم عليهم السلام لقوله سبحانه: ﴿ قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾.

وأيضاً كانت زوجة سيدنا زكريا عاقر فدعا الله واستجاب له وأصلح له زوجه قال الله عزوجل: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ﴾.

الإبتلاء بالهجرةِ والغُربة

- كثيرٌ من الأنبياء والصالحين من كان ابتلاؤهم ، بترك الوطن والعشيرة بل وترك كل ما لديهم استجابة لله ولإعلاء كلمة التوحيد.

فكانت هجرة المصطفي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة قال تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾.

وكانت هجرة سيدنا إبراهيم عليه السلام من أرض بابل بالعراق الى فلسطين لقوله سبحانه : ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾. أى إني مُهَاجِرٌ من بلدة قومي إلى الله : أي إلى الأرض المقدَّسة ، ومفارقهم ، فمعتزلهم لعبادة الله.

وكانت هجرة سيدنا موسى عليه السلام من مصر الى مدين ، قال الله تعالى: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾.

وكانت هجرة سيدنا لوط عليه السلام من العراق الى سَدُوم وعَمُورَة بالأردن ثم أمره الله بالخروج وترك قرية أهل الرذيلة قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ﴾.

وآخرين كثير من الأنبياء والصالحين ليكون ابتلاءً لهم لرفع درجاتهم.

الإبتلاء في النفس

- ومنهم من ابتلاه الله في نفسه كابتلاء إبراهيم عليه السلام ؛ تربَّصَ له قومُه وكادوا له كيداً ، أرادو إحراقه حياً ، ولكن تدخلت عناية الله له بأن جعل النار برداً وسلاماً قال تعالى : ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ وكذلك سيدنا يونس عليه السلام ؛ التقَمَه الحوتُ فظلَّ في بطنه حياً وظلَّ يستغفرُ ودعا ربه ولم يَغفُل عن المناجاة ، حتى استجاب له الله وأخرجه من بطن الحوت ، قال تعالى: ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾. أما سيدنا زكريا وابنه يحي عليهما السلام وهما نبيّان من أنبياء الله ـ فقد قُتلا ، الأب نُشر بالمنشار والأبن قطعت رأسه ، فسبحان الله !!

هذا هو حال الأنبياء يدفعون أعمارهم من اجل إيصال كلمة الحق ورسالات الله الى الخلق.

إبتلاءات العلماء

أمَّا عن سِيَر العلماء والصالحين نجد أن الكثير منهم ابتلاهم الله ابتلاءات شديدة فعاشوا لله وماتوا في سبيل الله واليك أمثلة منهم:

- مات سعيد بن المسيب مقتولًا
- ومات سعيد بن جبير مقطوع الرأس
- ومات الامام الشافعي بسبب الضرب العنيف بالهراوات
- ومات سفيان الثوري فاراً
- ومات الطبري محاصراً
- ومات البخاري مهجوراً
- ومات النسائي مقتولًا
- ومات ابن حزم مطارداً
- ومات عياض مسموماً
- ومات شيخ الإسلام ابن تيميه مسجوناً .
- ومات نعيم بن حماد مقيدا وجر فى قيده وألقى فى حفره ولم يغسل ولم يصلى عليه.

وصدق الله تعالى القائل :

﴿ الم* أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ، فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾.

كلماتٌ واعظاتٌ

حياة المؤمن .. لا تكون إلا بالإبتلاء
ولا يكون للإبتلاء لذةً إلا بالصبر
ولا يكون الصبر تاماً إلا بالرضا

وان الجنَّة عروسٌ ... مهرُها قهرُ النُّفوسِ .
وكلنَّا للجنة عُشاقٌ ... ومن منَّا ليس بمشتاق .
فاعمل لها فإن طريقها شاق .

والدنيا ثلاث : أملٌ ، وألمٌ ، وأجرٌ .
فعش بالأولى وتحمل الثانية لأجل الثالثة .

اللهم ارزقنا الجنة وما قرب إليها من قول اوعمل .. آمين